وزارة التّعليم العالي البحث العلمي

جامعة باتنة 1 الحاج لخضر

كليّة العلوم الإسلامية

قسم اللّغة و الحضارة الاسلامية

مخبر الفقه الحضاري و مقاصد الشريعة

ملتقى وطني حول

المناهج التّعليمية بين الخواضر العلميّة و الجامعات الاسلاميّة المعاصرة

يوم: 22 أفريل 2024

الاسم و اللّقب: محمّد صالحي

الرّتبة العلميّة: دكتوراه علوم تخصّص العلوم الاسلاميّة و مناهج البحث

الجامع الأصليّة: جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان-

محور المداخلة: المحور الثّاني: المناهج التّعليميّة في الحواضر العلميّة الأساسيّة

مناهج التّعليم الابتدائي في حواضر العالم الإسلامي من خلال كتاب "بدائع السلك في طبائع الملك" لابن الأزرق (ت: 896هـ)

د. صالحي محمّد

ملخص:

يعتبر كتاب"بدائع السلك في طبائع الملك" لابن الأزرق الأندلسي لبنة مهمّة في التّنظير للمناهج التّعليميّة، و قد أضفى عليه صاحبه أهميّة كبيرة باعتماد نظريات ابن خلدون عرضاً و تحليلاً و نقداً، و لعلّ مثل هذه الدّراسات المنهجيّة المتعلّقة بمثل هذه المدوّنات هي التي تشكّل مناعتنا في هذا الزخم المعرفي الذي يعرفه العالم اليوم.

الكلمات المفتاحيّة: ابن الأزرق، منهج، التّعليم الابتدائي، العالم الاسلامي

مقدمة

يعتبر التّعليم الابتدائي هو القاعدة التي تنبني عليها الملكات و المهارات المعرفيّة للمتعلّم، و لهذا اهتمّت حواضر العالم الإسلامي بتنظيمه من الجانب الماديّ بتوفير مراكز له كالمساجد و الكتاتيب و نحوها، و كذا من النّواحي المنهجيّة بابتداع الطّرائق التّعليميّة المجدية و المتوافقة مع الطّبيعة النّفسية و العقليّة للطّفل.

و يعتبر كتاب "بدائع السلك في طبائع الملك" لابن الأزرق امتداد لفكر ابن خلدون السياسي و الاجتماعي في مقدّمته، و هو من الكتب المتميّزة مضموناً و منهجاً من حيث معالجة القضايا الحضارية للأمم، كما أنّه من الشّواهد التّاريخيّة التي أبرزت لنا العديد من طرائق التّعليم الابتدائي بالحواضر الإسلامية المعروفة في عصره

و من خلال اطّلاعي على هذا الكتاب سأحاول في هذه المداخلة الجواب على الاشكال الآتي: ما هي معالم مناهج التّعليم الابتدائي في الحواضر الإسلامية كما ذكرها ابن الأزرق في "بدائع السّلك"؟ و ما هي مميّزاتها؟ معتمداً على المنهج الوصفي في نقل نصوص ابن الأزرق في "بدائع السلك" التي بيّنت طرائق تعليم الولدان مشرق العالم الإسلامي و مغربه و المنهج النّقدي في تقييمها.

و للوصول إلى نتائج موضوعيّة اعتمدت على المنهج الوصفي في نقل نصوص ابن الأزرق بموضوع المداخلة، و من ثمّ تحليلها و تقويمها وفق ما تقتضيه تلك النّصوص من المعاني التي تصبّ في موضوع منهج التّعليم الابتدائي في الحواضر الاسلامية.

إنّ القصد من هذه المداخلة هو الوصول إلى الأهداف الآتية:

- أهميّة التّعليم الابتدائي في العالم الإسلامي قديماً

- ابراز التنوّع المنهجي في تأسيس البرامج التّعليميّة للأطفال باختلاف الأقطار الإسلامية في زمن ابن الأزرق

- ابراز أهيّة كتاب "بدائع السلك" كشاهد تاريخي لاهتمام المسلمين عبر التّاريخ بالمعرفة تعليماً و انتاحاً

و ستنبني مداخلتي على ثلاث عناصر أساسيّة: نبذةٌ مختصرةٌ عن سيرة الامام ابن الأزرق و كتابه "بدائع السلك في طبائع الملك" كمدخل للموضوع، ثمّ إبراز نبذة مختصرة لتاريخ التّعليم الابتدائي في العالم الإسلامي، و في العنصر الثّالث أبرز معالم مناهج التّعليم الابتدائي في الحواضر الاسلاميّة عند الامام ابن الأزرق من خلال كتابه "بدائع السّلك في طبائع الملك"

أوّلاً: نبذةٌ مختصرةٌ عن سيرة الامام ابن الأزرق و كتابه " بدائع السّلك في طبائع الملك "

1- السّيرة الذّاتية للامام ابن الأزرق ()

أ/ إسمه: هو مُحَمَّد بن عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ بن عَليّ بن قَاسم بن مَسْعُود أَبُو عبد الله الأصبحي الغرناطي الأَصْل المالقي الْمَالِكِي وَيعرف بالأزرق ().

ب/ ولادته و وفاته: لا تسعفنا المصادر التي اطّلعت عليها بتاريخٍ دقيقٍ لولادته، غير أنّنا نستطيع أن نستنتج تاريخ ولادته من خلال ما ذكره مجير الدّين العليمي حين قال: " وَ اسْتمرّ إلى ان توفّي فِي يَوْم الْجُمُعَة بعد فرَاغ الصَّلَاة سَابِع عشر ذِي الْحجَّة الْحَرَام سنة سِتّ وَتِسْعين وَثَمَانمِائَة وَصلي عَلَيْهِ فِي يَوْمه بعد صَلَاة الْعَصْر بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَدفن بماملا الى جَانب حوش البسطامي من جِهَة الْقرب فَكَانَت إِقَامَته بالقدس إِحْدَى وَسِتِّينَ وَيَوْما توفّي وَله خمس وَسِتُّونَ سنة عَفا الله عَنهُ "()، حيث

نستنتج أنّه ولد سنة: 831هـ، بمالقة و بها نشأ، أمّا وفاته فقد سبق الإشارة إلى أنّه توفّي سنة 896هـ بالقدس().

2- السّيرة العلميّة للامام ابن الأزرق

أ/ شيوخه و تلامذته: تلقّى الإمام العلم على يد كثير من العلماء نذكر منهم: إِبْرَاهِيم بن أَحْمد ابن فتوح، و أبي عبد الله السرقسطي، و أبي الفرج عبد الله البقني، و أحمد بن أبي يحيى الشريف التلمساني، و أبي إسحاق العبدوسي، و أبي عبد الله مُحَمَّد بن يُوسُف بن الْمواق الْعَبدَرِي وَ مُحَمَّد بن زَكَرِيَّا ابْن جُبَير و قاضي الْجَمَاعَة أبي يحيى بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عَاصِم () و غيرهم.

و لا تشير المصادر التي ترجمت لهذا العَلم إلى أيّ اسم من أسماء تلامذته و إن كانت شهرته التي طبقت الآفاق تشير و لو من طرفٍ خفيّ إلى أنّ حضوره العلمي لم يخلوا من تلامذة أخذوا عنه، و نذكر منهم: أبي عبد الله محمّد بن أحمد الوادي آشي، و الحافظ أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن داود البلوي الغرناطي، و و شرف الدّين يحي بن محمّد الأنصاري المغربي الأندلسي ()

ب/ مناصبه العلميّة: إنّ شهرة ابن الأزرق إضافة إلى علوّ كعبه في العلّم مكّنه من أن يتبوّأ مناصب عديدة في مختلف أقطار العالم الإسلامي، و من مناصبه

_ القضاء: حيث ولي القضاء بكلّ من مالقة، و قضاء الجماعة بغرناطة، و في آخر حياته شغل القضاء بالقدس الشّريف().

_ التّدريس: درّس بالجامع الأعظم بغرناطة ()، و لا بدّ أن يكون له مجالس تدريس في الأقطار التي دخلها لا سيما و أنّه كان قاضياً.

ج/ رحلاته: لإثر سقوط غرناطة بيد النّصارى انتقل إلى تلمسان، ثم إلى المشرق، و حجّ، ثمّ رجع الى مصر، ثمّ توفي بالقدس قاضياً ()، و لعلّ من أسباب رحلاته طلب المساعدة لإنقاذ الأندلس و هو ما أشار إليه مجير الدّين العليمي بقوله: " وَ كَانَ قَاضِيا بِمَدِينَة غرناطة بالاندلس فَلَمَّا استولى عَلَيْهَا الافرنج خرج مِنْهَا يستنفر مُلُوك الأَرْض فِي نجدة صَاحب غرناطة"، و المقرّي بقوله: ".. و استنهض عزائم السلطان قايتباي لاسترجاع الأندلس، فكان كمن يطلب بيض الأنواق، أو الأبيض العقوق"، و يقول السّخاوي في المعنى نفسه: "ثمَّ خرج مَعَه إِلَى وادياش وهما منفصلان فوجهة قَاصِدا إِلَى السُّلْطَان أبي

عمر وَعُثْمَان بن مُحَمَّد بن أبي فَارس لمساعدة الأندلسيين على عدوهم الْكَافِر فَلم يلبث أَن مَاتَ أَبُو عَمْرو فارتحل صَاحب التَّرْجَمَة إِلَى الديار المصرية ليحج فحج فِي الْبَحْر ( ).

د/ مصنّفاته: تذكر المدوّنات التي ترجمت لابن الأزرق العديد من التّصانيف و التي نذكر منها: " بدائع السلك في طبائع الملك" و هو مطبوع متداول كما سيأتي، و منها " الإبريز المسبوك في كيفية آداب الملوك"، و " تخيير الرياسة وتحذير السياسة"، و " روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام " و هو مطبوع بدار منشورات كليّة الدّعوة الاسلاميّة بطرابلس بتحقيق: سعيدة العلمي، و " شفاء الغليل في شرح مختصر خليل" ( ).

3- نبذةٌ عن كتاب " بدائع السلك في طبائع الملك "

_ مكانته العلميّة: يعتبر ابن الأزرق عقليّة علميّة متميّزة إذا ما قورنت بمعارف عصره، و قد وصفه الدّكتور أبو القاسم سعد الله أنّه من مؤرّخي الحضارات ( )، هذا الكتاب حلقةً مهمّة في الطّرح الحضاري لقيام الدّول و الجوانب السّننية في ذلك، و ينقل لنا الأستاذ محمّد بن عبد الكريم رأي الشّيخ البشر الإبراهيمي في مقدّمة تحقيق هذا الكتاب فيقول نقلاً عن الشّيخ: "إنّ هناك كتاباً يغني عنها –أي مقدّمة ابن خلدون- و لا سيما بالنّسبة للأساتذة و المدرّسين بل هذا الكتاب في نظري أحسن منها-أي مقدّمة ابن خلدون- بكثير لأنّه يحتوي على تلخيصها و على أشياء كثيرة، قد أغفلها ابن خلدون و كان من الواجب أن لا تغفل فاستفسرته عن الكتابفقال –رضي الله عنه- هو بدائع السّلك في طبائع الملك لابن الأزرق الأندلسي" ( )

، و قد احتفى به العلماء الذين ترجموا لابن الأزرق و أبرزوا فائدته و حسنه مثل صاحب "شجرة النّور الزكيّة"، و "نيل الابتهاج" ( )، و وصفه المقري بأنّه كتاب بديع في موضوعه ( ).

_موضوعه: تكاد تجمع المصادر التّاريخيّة التي ترجمت لابن الأزرق أن كتاب "بدائع السّلك" هذا أنّه تلخيصٌ لمقدّمة ابن خلدون، حيث يقرّر المقري ذلك بقوله: ".. لخّص فيه مقدمة تاريخ ابن خلدون المسمّى بكتاب العبر، وزاد عليه زيادات كثيرة نافعة، وهو في سفر ضخم.. "( )، و يصفه الدكتور أبو القاسم سعد الله بأنّ مصنّفه ابن الأزرق أكثر من النّقل عن ابن خلدون و وصف أحوال المغرب العربي و الأندلس و يقارنها مع أحوال المشرق مع توسّعه في الحديث عن العلوم و العمران ( ).

و يؤكّد لنا الدكتور سامي النشّار أنّ ابن الأزرق تجاوز ابن خلدون كثيراً، حيث تعامل مع النصّ الخلدوني إمّا بالنّقل، أو بالتّلخيص، و إمّا بالتّفسير و النّقد، بل نجد أنّ النشّار يؤكّد أنّ علم الاجتماع

السّياسي نضج على يد ابن الأزرق، و أنّ هذا الأخير شرح لنا مصطلحات ابن خلدون، و كشف لنا مصادره في مقدّمته بنقل نصوص مهمّة عن أعلام سبقوا ابن خلدون في طرحه، و يؤكّد الدكتور وضوح المنهج الاستقرائي عند ابن الأزرق أكثر منه عند ابن خلدون ()، و قد نبّه الدّكتور محمّد بن عبد الكريم الجزائري في تحقيقه لكتاب "بدائع السّلك" أنّ وجود هذه المصنّف هو أبلغ لردّ لمن زعم أنّ الأوروبيين هم أوّل من شرح أفكار ابن خلدون ()، و و نختم كلامنا بتساؤل مهمّ للدّكتور أبو القاسم سعد الله حين يقول بعد وصفه لكتاب "بدائع السّلك": " .. و لكننا لا ندري ما إذا كان ابن الأزرق الأندلسي الموطن، قد أثر هو في جيله أثناء إقامته بتلمسان. فنحن لا نجد آراءه ولا آراء أستاذه ابن خلدون قد تسربت إلى كتاب التنسي وأمثاله من مؤرخي القرن التاسع" ()

ثانياً: نبذة تاريخيّة عن مناهج التعليم الابتدائي في العالم الإسلامي

يعتبر العلم أساس بناء الدّولة الاسلاميّة و قد حضّ عليه النبي ﷺ على ذلك بقوله: "طلب العلم فريضة على كلّ مسلم" –رواه مسلم- و قد جعل –عليه السّلام- فداء الأسير في بدر تعليم عشرة من غلمان المدينة، و هو ما يبرز أهميّة تعليم الصّغار في الدّولة النبويّة().

و قد صاحب الفتوحات الاسلاميّة التّركيز على جانب تعليم الأطفال، و في ذلك يقول ابن حزم: " "ثم مات أبو بكر ووليه عمر ففتحت بلاد فارس طولاً وعرضا وفتحت الشام والجزيرة ومصر كلها ولم يبق بلد إلا وبنيت فيه المساجد ونسخت فيه المصاحف وقرأ الأئمة القرآن وعلمه الصبيان فى المكاتب شرقا وغربا" ()، و قد اقترن التّعليم الابتدائي في تلك الفترة بفكرة الكتاتيب التي انتشرت بصورة واسعة في العالم الإسلامي و من الأمثلة ما جاء عن غياث بن أبي شبيب قال: كان سفيان بن وهب صاحب رسول اللّه ﷺ يمرّ بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلّم علينا في الكتّاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه ().

و في زمن الأمويين أصبحت البادية مقرّا لتعليم أبناء الخلفاء و أبناء رجال دولتهم فصاحة اللسان و حسن السلوك، و قد بيّن ذلك الأديب محمّد صادق الرّافعي حين قال: " وقد كان بنو مروان يلزمون أولادهم البادية لينشؤهم هناك على تقويم اللسان وإخلاص المنطق، ومن أجل ذلك قال عبد الملك: أضر بالوليد حبنا فلم نوجهه إلى البادية! والوليد هذا ومحمد أخوه كانا لحانين، ولم يكن في ولد عبد الملك أفصح من هشام ومسلمة"().

و في العهد العبّاسي اهتمّت الدّولة بشكل كبير بالتّعليم ليبلغ التطوّر العلمي في عصرها أقصاه، و هذا الازدهار لم يكن ليتحقّق دون تعليم ابتدائي قويّ و لهذا نجد الكتاتيب باعتبارها مقرّاً لذلك توزّعت

على مجموعتين: كتاتيب أولية: كان يتعلم الأطفال فيها مبادئ القراءة والكتابة ويحفظون القرآن ويجودونه وكذلك يتعلمون مبادئ الفقه والحديث والتفسير وأوليات الحساب، و كتاتيب ثقافية: أنشئت لتعليم الأطفال والشبان علوم اللغة والآداب وكانوا يتوسعون في دراسة العلوم الشرعية وسائر صنوف العلم والمعرفة بصفة عامة "()، و يجدر التّنبيه أنّ ماذكرناه من دور الكتاتيب و المساجد في التّعليم الابتدائي هو السّائد في جميع الأقطار الاسلاميّة ()

و في الفترة العثمانية لم تتغيّر الجوانب التّعليميّة كثيراً و بقيت الطّريقة التّقليدية هي السّائدة و بقيت المساجد و الجوامع و الكتاتيب هي الحيّز المكاني للتّعليم بمختلف مراحله "()، و ظهر في دمشق خلال تلك الفترة دار الخوجة أو الخجاية و هي دار تقوم فيها سيّدة بتعليم الأطفال القراءة و الكتابة و فق طرائق محدّدة، و في ذلك إشارة إلى مساهمة المرأة في التّعليم الابتدائي في ذلك العهد ()، و قد أصدرت الدّولة العثمانية في أواخر عهدها سنة 1869م قانون المعارف الذي نظّم التّعليم في الولايات العثمانيّة و قسّمه إلى ثلاثة مراحل: تعليم ابتدائي سمّي مكاتب الصّبيان يدوم أربع سنوات، و المرحلة الثّانية هي المتوسّطة و سمّيت المكاتب الرّشدية و مدّتها ثلاث سنوات، و الثّالثة هي المرحلة الثّانوية التي سميت المكاتب الإعدادية و مدّتها أربع سنوات ()، و قدكانت لغة التّدريس في هذه المراحل الثّلاث هي التّركيّة ().

و بعد سقوط الدّولة العثمانيّة ظهر التّعليم الابتدائي وفق المناهج الحديثة، رغم بقاء الكتاتيب و التّعليم المسجدي و ما شابهه، و إن كانت قد فقدت حضورها بسبب مزاحمة المدارس العصرية و إلزاميّة التّعلّم فيها

و يجدر التّنبيه أنّ علماء الإسلام اشتغلوا في التّصنيف في مناهج التّعليم ، و لعلّ أقدم ما وصلنا كتاب "آداب المعلمين" لمحمد بن سحنون الذي تناول فيه جوانب منهجيّة فيما يتعلّق بتعليم القرآن و الفقه في الدّين و ما يتعلّق بذلك، و جوانب تربويّة فيما يتعلّق بالعدل بين الصبيان، و أحكام تأديبهم و غيره، و من ذلك الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين للقابسي الذي تأثر فيها بما كتبه ابن سحنون مع شيء من التوسّع و الاستفاضة، ثم توالت المصنّفات في هذا الحقل, فألف في ذلك الآجري، و الخوارزمي، و ابن جزار القيراوني في كتابه "سياسية الصبيان وتدبيرهم"، و ممّن ألف في الحقل أيضًا أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيفي الذي سمّى كتابه "آداب المعلمين" في خمسة أجزاء، و من ذلك ما تضمّنته كتب ابن مسكويه و الماوردي من الآراء التّربويّة ، ثم جاء الغزالي فجمع ما بين طرق التعليم والتربية وطرق التزكية والتصفية من خلال رسالته إلى تلميذه "أيها الولد" و ما تضمّنه

كتاب "إحياء علوم الدين"، و من المتأخّرين أبو المكارم نجم الدّين محمّد بن محمّد الغزّي الدمشقي الذي صنّف"حسن التنبه لما ورد في التشبّه" بيّن فيه إضافة إلى الآراء التّعليميّة الجوانب التربوية التي بنبغي الحرص عليها من النّظافة و الجوانب السّلوكيّة ()، و هذه الكتب هي مجرّد شواهد تعكس مدى اهتمام المسلمين بالجوانب التعليميّة و التّربويّة.

ثالثاً: معالم مناهج التّعليم الابتدائي في الحواضر الاسلاميّة عند الامام ابن الأزرق من خلال كتابه "بدائع السّلك في طبائع الملك"

من خلال الاطّلاع على نصوص ابن الأزرق في "بدائع السّلك" نجد أنّ له آراء عامّة في التّعليم هي امتداد في مجملها لآراء ابن خلدون و يقرّر ذلك بوضوح حين ذكر أنّ العلم و التّعليم طبيعي في العمران البشري()، كما نجد له آراءاً خاصّة بالتّعليم الابتدائي مبثوثة في كتابه "بدائع السّلك" يمكن إبراز معالمها فيما يأتي:

1/أهميّة التّعليم الابتدائي: يقرّر ابن الأزرق أهميّة التّعليم عموماً و أثره على العمران و بناء الأمم فيقول: "أنّ العلوم إنّما تكثر حيث يكثر العمران و تعظم الحضارة، و ذلك لأنّ تعلّم العلم من جملة الصنائع كما تقرّر" و يجعل تقلّب حال بغداد و قرطبة مثالاً عمليّا على ما قرّره ()

ثمّ بيّن الأهميّة البالغة لتعليم الطّفل "لأنّ تَعْلِيم الصغار أشدّ رسوخاً وَ هُوَ أصل لما بعده لأنّ السَّابِق الأوّل إِلَى الْقُلُوب كالأساس للملكات"()

2/ أهميّة المناهج التّعليميّة، يقرّر ابن الأزرق تبعاً لابن خلدون أنّ المعرفة إنّما تتحصّل وفق مناهج و خطط تعليميّة، و هو ما عبّر عنه بقوله: "أنّ تعليم العلم من جملة الصنائع"مبرّراً ما قرّره بتحصيل ملكة التّعليم -التي لها صبغة الدّيمومة خلافاً للعبقريّة- و كذا اختلاف اصطلاحات العلوم تستدعي صنعة خاصّة لشرحها و تفسرها للمتلقّي ()، و قد ذكر ابن خلدون أنّ من أسباب تفوّق العجم على العرب في العلوم أنفة العرب من الصّنائع و التي منها تعليم العلم خلافاً للعجم ().

3/ أهميّة وجود المعلّم في عمليّة التّعليم، حيث يبرز ابن الأزرق ضرورة وجوده بقوله: "و لكن الواقع في مجاري العادات أن لا بدّ من المعلّم و هو متّفق عليه في الجملة و إن اختلفوا في بعض التّفاصيل" ()

في موضع آخر يقرّر مواصفات المعلّم الكفء فيقول: " .. حصول الملكة في العلم أمورًا و هي المعرفة بأصول أيّ علم كان و ما يبني عليه ذلك العلم و ما يلزم عنه و القدرة على التّعبير عن مقصوده و على دفع الشّبه الواردة عليه فيه"()

4/ قاعدة التّعليم الابتدائي: "فتعليم الولدَان القُرْآن من شَعَائِر الدّين و مراسمه أَخذ بِهِ أهل الملَّة ودرجوا عَلَيْهِ لما يسْبق بِهِ إِلَى الْقُلُوب من رسوخ الْإِيمَان وعقائده إِذْ هُوَ اصل التَّعْلِيم الْمَبْنِيّ عَلَيْهِ مَا يحصل بعده من الملكات" ()، و هو مجمعٌ عليه كمبدأ عامّ في العالم الإسلامي، و أمّا اختلافهم ففي تنزيله على الواقع كما سيأتي، و تعليم القرآن للصبي له دورٌ كبير في إثراء الرّسيد اللّغوي للطّفل ()، و

5/ تقرير قاعدة تعدّد المذاهب في مناهج التّعليم الابتدائي: يبرز ابن الأزرق تعدّد طرق التّعليم الابتدائي في العالم الإسلامي بقوله:"أَنّ مَذَاهِب أهل الامصار الاسلامية مُخْتَلفَة فِي طرق تَعْلِيم الْولدَان"()، و التعدّد المنهجي سنّة علميّة ماضية

6/منهج أهل المغرب في التّعليم الابتدائي: يقرّره ابن الأزرق بقوله: "و هي اقتصارهم على تعليم القرآن فقط و أخذهم أثناء ذلك بالرّسم و اختلاف القرّاء فيه من غير مزيد عليه من الحديث و الفقه أو الشعر أو كلام العرب إلى أن يحذق في ذلك قبل البلوغ وبعده ()، و لا تزال هذه الطريقة منتشرة في الكتاتيب و الزّوايا رغم مزاحمة التّعليم النّظامي لها.

7/ منهج أهل الأندلس في التّعليم الابتدائي: يقرّر ابن الأزرق طريقتهم بقوله: "و هي تعليمهم للقراءة و الكتابة من حيث هو، و لمّا كان القرآن أصل ذلك و منبع الدين و العلوم جعلوه أصلا في التعليم و خلطوا به رواية الشعر و الترسيل و حفظ قوانين العربية و تجويد الخط و الكتابة و عنايتهم به أكثر من الجميع إلى أن يخرج عن حدّ البلوغ إلى الشبية"()، و ذكر ابن هشام اللّخمي أنّه قد سُمِعَ بدال غير معجمة، و إن كان ذلك قليلاً ().

8/منهج إفريقيا-تونس- في التّعليم الابتدائي: يبرز ابن الأزرق معالمه فيقول: "خلط هذا التعليم بالحديث في الغالب و مدارسة قوانين العلوم و تلقين بعض مسائلها"()، و يقرّر أولويّة القرآن رغم خلطه بالحديث قائلاً: "إلّا أنّ عنايتهم باستظهار القرآن و وقوفهم على اختلاف روايات قرّائه أكثر ممّا سواه و عنايتهم بالخطّ تبعٌ لذلك ()، ثمّ يقارن بينها و بين طريقة الأندلسيين: "و بالجملة فطريقتهم أقرب إلى طريقة أهل الأندلس لاتّصال سند طريقتهم بمشيخة أهل الأندلس الذي جازوا عند تغلّب النصارى على شرق بلدهم و استقروا بتونس و عنهم أخذ ولدانهم من بعد ذلك ()،

9/ منهج أهل المشرق في التّعليم الابتدائي: يبيّن ابن الأزرق المبدأ العامّ للتّعليم الابتدائي عند المشارقة قائلاً: "و هي خلط التعليم كذلك فيما بلغ عنهم"()،ثمّ يشرح لنا طبيعة المزج في التّعليم عندهم فيقول: "و الذي ينقل لنا أنّ عنايتهم بدراسة القرآن و صحف العلم في زمان الشبيبة و لا يخلطونه بتعليم الخطّ لاختصاص المنتصبين لتعليم قوانينه على انفراده كسائر الصنائع فلذلك لا يتداولونه في المكاتب و إذا كتبوا لهم الألواح فبخطّ قاصر عن الاجادة و من أراد تعلّم الخطّ ابتغاه من أهل صنعته ()، حيث يبيّن الفرق بين أقطار الغرب الإسلامي و المشرق بالتّركيز على التخصّص في صنعة التّعليم، ففحين أنّ المعلّم الذي يدرّس الطفل القرآن هو نفسه يعلّمه الخطّ في الغرب الإسلامي، نجد أنّ المعلّم الذي يدرّب الطّفل على التّركيز في الكتابة في المشرق متخصّص في الخطّ غير الذي يعلّمه في الكتّاب

10/ طريقة ابن العربي المالكي في التّعليم الابتدائي: يذكر ابن الأزرق طريقته فيقول: "و لقد ذهب ابن العربي إلى طريقة غريبة في وجه التعليم و أعاد في ذلك و أبدأ و قدّم تعليم العربيّة و الشّعر كما هو مذهب أهل الأندلس، قال: لأنّ الشّعر ديوان العرب و يدعو إلى تقديمه مع العربية فساد اللغة ثم ينتقل منه إلى الحساب ليتمرّن فيه ثمّ إلى درس القرآن و استغفل أهل بلاده في أخذ الطّفل بالقرآن في أوّل أمره لقراءته ما لا يفهم و تبعه في أمر غيره أهمّ منه، قال: ثمّ ينظر في أصول الدين ثمّ أصول الفقه ثمّ الجدل ثمّ الحديث و نهي مع ذلك عن خلط علمين إلّا مع قبول المتعلّم لجودة ذهنه و نشاطه"()

و قد صوّبه تبعاً لابن حلدون فقال: "و هو لعمري مذهب حسن إلّا أنّ العوائد لا تساعد عليه"()

و من خلال ما نقله ابن الأزرق من طرق التّعليم الابتدائي يمكن تصنيفها إلى طريقين أساسين طريقة الاقتصار على مادّة علميّة واحدة (القرآن)، و الثّانية طريقة الخلط بين مادّتين علميّتين، و قد وجّه ابن الأزرق تبعاً لابن خلدون هذا الاختلاف في طرق التّعليم الابتدائي قائلاً: " و وجه ما اختصّت به العوائد من تقدّم دراسة القرآن إيثار التبرّك به و خشية ما يعرض للولد في جنون الصّبا من القواطع عن العلم فيفوته القرآن لأنّه ما دام في حجر الصّبا منقاد للحكم فإذا تجاوز البلوغ انحلّ من ربقة القهر فربّما عصفت به رياح الشّبيبة فألقته بساحل البطالة فيغتنمون تحصيل القرآن له قبل ذلك قال و لو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم و قبول تعليمه لكان هذا المذهب أولى مما أخذ به أهل المشرق و المغرب"()

11/ ثمرة مناهج التّعليم الابتدائي على شخصيّة المتعلّم العلميّة، يبيّن ابن الأزرق أنّ العبرة في طريقة التّعليم الابتدائي هو ما تنتجه من الكفاءات العلميّة فيقول: " فأمّا أهل افريقية و المغرب فأفادهم

الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة لأنّ القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لعجز البشر عن الاتيان بمثله، و لا ملكة لهم في غير أساليبه فلا ملكة لهم في اللّسان و حظّهم الجمود على العبارات و قلّة التصرّف في الكلام و ربّما كان أهل افريقية أخفّ من أهل المغرب لخلطهم في تعليم الولدان بعبارات قوانين العلوم فيقتدرون على شيء من التصرف في الكلام الأوّل إلّا أنّ ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لنزول محفوظهم عن تلك العبارات منها،قال و أمّا أهل الاندلس فأفادهم التفنن في التعليم بكثرة رواية الشعر و الترسيل ومدارسة العربية من أوّل العمر حصول ملكة صاروا

بها أعرف في اللسان العربي و قصّروا في سائر العلوم لبعدهم عن مدارسة القرآن و الحديث فكانوا لذلك أهل خطٍّ و أدب بارع أو مقصّر على حسب التّعليم الكتاب بعسر تعليم الصبا ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك" ()، و يبيّن أنّ النّاس متساوون في القابليّة للتعلّم من حيث الخلقة و إنّما يحصل التّفاوت في الرّصيد المعرفي حسب المؤثّرات الحضارية في الإقليم الجغرافي حيث نجده يقول: " إذ لا تفاوت بين المشرق و المغرب بهذا المقدار و إنّما ذلك في الاقاليم المنحرفة كالأوّل و السّابع و أمّا الذي فضل به أهل المشرق فهو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل المزيد في الصنائع.."( )، و ذكر الأمر نفسه في المقارنة في الآثار العلميّة في الحضر و البدو ().

و هذا متوافق مع ما ذكرناه سابقاً من كون التّعليم يتفاعل و الجوانب الحضارية و المظاهر العمرانيّة تأثّراً و تأثيراً.

12/ مدّة التّعليم الابتدائي، عند تأمّل نصوص ابن الأزرق في "بدائع السّلك" نجده لا يحدّد مدّة زمنيّة للتّعليم الابتدائي و إنّما جعلها تابعة للتفاوت في الملكات و جودة التّعليم و في تأثّر المتعلّم بالجوانب الحضارية للإقليم الجغرافي الذي ينتمي إليه فيقول: "قال و ممّا شهد بذلك في المغرب أنّ المدّة المعيّنة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ستّ عشرة سنة و هي بتونس خمس سنين، قال و هذه المدة على المتعارف هي أقلّ ما يتأتّى فيها للطالب حصوله مبتغاه من الملكة العلميّة أو اليأس من تحصيلها فطال أمدها بالمغرب لشدّة القصور لأجل عسرها من قلّة الجودة في التّعليم خاصّة لا مّما سوى ذلك"()

13/ الجوانب التّربويّة للتّعليم الابتدائي، يقرّر ابن الأزرق قاعدة التوسّط في تأديب الأولاد و البعد عن الغلوّ في العقاب لما له من آثار سلبيّة على نفسيّة الانسان و على المجتمع حيث قال: "و أنّ الشدة على المتعلمين مضرّة بهم و ذلك لأنّ ارهاف الحد للتأديب مضرّ بالمتعلّم لا سيما في صغار الولدان لأنّه من سوء الملكة بدليل أنّ من كان مربّاه بالقهر من متعلّم أو مملوك أو خديم عاد عليه بضيق النّفس و

ذهاب النّشاط و حصول الكسل و الحمل على الكذب و الخبث و المكر و الخديعة و فساد معاني الانسانية من حيث الاجتماع و هي الحمية و المدافعة و القبول عن اكتساب الفضائل و الخلق الجميل حتّى ينقبض عن غاية مقصودة فيرتكس و يعود في أسفل السّافلين كما وقع لكلّ أمّة حصلت في قبضة القهر والعسف"()، و قد نقل فتوى ابن أبي زيد القيرواني في ذلك قائلاً:"و قد قال محمد ابن أبي زيد لا ينبغي لمؤدّب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط و من كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدّبه الشّرع لا أدّبه الله حرصاً على صون النفوس عن مذلّة التّأديب و علماً بأنّ المقدار الذي عيّنه الشّرع لذلك أملك له فإنّه أعلم بمصلحته"()

خاتمة

من خلال ما سبق يمكن أن نخلص إلى النّتائج الآتية:

_ تعتبر آراء ابن الأزرق التّعليميّة امتدادا لما قرّره ابن خلدون في هذا المجال

_ يقرّر ابن الأزرق منهجاً عامّاً للتعليم يتوافق مع الفطرة الانسانيّة و السنن الحضارية للأمم

_ يتّسم طرح ابن الأزرق بالواقعية حين يقرّر بضرورة وجود نتائج عمليّة لعمليّة التّعليم تنعكس على الفرد بتقوية ملكته الفكرية، تنعكس على المجتمع في جوانبه العمرانية

_ أهميّة التّعليم الابتدائي عند ابن الأزرق كونه ينبني عليه سلوكات و تفاعلات المتعلّم مستقبلاً

_ تميّز طرح ابن الأزرق بالموضوعيّة حيث أبرز اختلاف وجهات النّظر في حواضر العلم الإسلامي للتّأسيس لمناهج تعليميّة للأطفال و بيّن إيجابيّات و سلبيات كلّ طريقة دون تحيّز

_ لم يغفل ابن الأزرق الجوانب التّربويّة في العمليّة التّعليميّة المتعلّقة بالأطفال مبيّناً المقياس السويّ لعمليّة العقاب بما ينعكس بالنفع على نفسيّة الطّفل

و على ضوء هذه النّتائج نوصي بالآتي:

_ الاهتمام بالدّراسات المتعلّقة بالمناهج التّعليميّة عبر التاريخ الحضاري لأمّتنا

_ يعتبر الاستثمار في الانسان الوسيلة النّاجعة للبناء الحضاري لأيّ أمّة و هذا لا يتحقّق إلّا بتعليم ناجع ينبني على مناهج صلبةٍ و واقعيّة و هو ما يحتّم علينا الاهتمام بالدّراسات المنهجيّة في جامعاتنا

_ تعريف النّشئ الصّاعد بالجوانب التّاريخية لعمليّة التّعليم في عالمنا الاسلامي

و في الأخير أشكر القائمين على هذا الملتقى الوطني الذين بذلوا جهوداً لجمع الباحثين و إثراء هذا الموضوع اللغوي الهامّ و أتمنّى لهم مزيداً من النجاح و التّوفيق.

قائمة المصادر و المراجع

_ ابن الأزرق، بدائع السّلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق، 1978م

_ ابن الأزرق، بدائع السّلك في طبائع الملك، تحقيق: محمّد بن عبد الكريم الجزائري، دار الوعي، الجزائر، الطّبعة 1، 2017م

_ ابن الأزرق، روضة الأعلام بمنزلة العربيّة من علوم الإسلام، ت: سعيدة العلمي، منشورات كليّة الدّعوة الاسلاميّة طرابلس، الطّبعة 1، 1429هـ/1999م

_ إسماعيل البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف بإسطنبول، 1951-1955م

_ التّنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ت: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، الطّبعة 2، 2000م

_ ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة،

_ أبو زيد الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ت: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطّبعة 1، 1426هـ

_ الرّافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي

_ الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين الطّبعة 15، ماي 2002م

_ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار مكتبة الحياة، بيروت

_ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطّبعة 1، 1410هـ-1990م،

_ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م،

_ أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب و الرّحلة، المؤسّسة الوطنية للكتاب، 1981م

_ محمّد أسعد طلس، التّربية و التّعليم في الإسلام، وكالة الصّحافة العربية (ناشرون)، مصر، 2021م،

_ العليمي الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ت: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، الطّبعة 1، 1420هـ/1999م

_ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي بيروت

_ محمّد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ،ت: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطّبعة 1، 1424هـ/2003م

_ أبو العبّاس المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ت: مصطفى السقا، و إبراهيم الإبياري و عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ/1939م،

_ كريم الوائلي، منهج الدّراسة الابتدائيّة في العراق الحديث، المكتبة الوطنية، بغداد، الطّبعة 1، 2021م

الدّوريات

_مهنّد مبيضين، ملاحظات حول تعليم الصبيان في مدينة دمشق ف العهد العثماني، المجلّة الأردنية للتّاريخ و الآثار، سنة: 2012م، العدد2، ج2

_ بهلولي زهرة، توظيف القرآن الكريم في تنمية الملكة اللّغويّة للطّفل، مجلّة التّعليميّة،سنة:2023،العدد2،ج12،